

## ربحت جائزة الشيخ زايد وخسر هابرماس



فاروق يوسف  
كاتب عراقي

بها الملايين ولم تذق فيها إلا طعم الحب والسعادة. كان هابرماس الكذبة التي كشفت عن زيف مثقفين عرب لم يدركوا أن الفيلسوف قد تعرض لحملة ترهيب فكري لم يكن بحكم سنه المتقدم وجهله بالدولة التي كرمته قادرا على مقاومتها والتصدي لها. نعم. لقد هُزم هابرماس أمام حملة مجلة دير شبيغل. لم يتساءل أحد "لِمَ دفعت المجلة الألمانية هابرماس إلى الشعور بالفزع وجعلته يشعر بالخوف من استلام الجائزة من دولة الإمارات؟". من المؤكد أن دير شبيغل وهي لا تملك على الإمارات أي ماخذ سياسي حقيقي قد وجدت في إكراه رجل بعمر هابرماس وقيمه الفكرية على التعامل بطريقة سلبية مع الكرم الإماراتي نوعا من التنقيص عن حقد مبيت إزاء تجربة نهضوية عربية حديثة. يشعر جزء من الغرب بالانزعاج منها. ذلك هو الجزء الذي يكره العرب ويريد أن يوظفهم بصورة الاستشراق التقليدية بعيدا وجواري وصحراء.



**بعض المثقفين العرب لعب دور شاهد زور في حملة ظالمة غلب عليها طابع الزيف والتضليل من أجل تشويه سمعة دولة عربية استثنائية في انتمائها العضوي للعصر الحديث. وإذا كان هابرماس قد خسر الجائزة فإن أولئك المثقفين العرب قد خسروا ضمائرهم**

أما أن تكون هناك دولة اسمها الإمارات العربية المتحدة يمكن اعتبارها واحدة من أهم معجزات العصر الحديث يقصدها السياح من كل مكان فذلك أمر لا يُطاق وينبغي تعكيره وتفخيخ التفكير فيه. هابرماس كان ضحية. فالرجل وقع فريسة الابتزاز. صدق ما قيل له وهو لا يملك الوقت أو المزاج لكي يتأكد من حقيقة ما يجري من حوله. ليس في مقدوره أن يكتشف أنه يمكن أن يكون جزءا من صفقة ابتزاز كبرى يُراد من خلالها جر الإمارات إلى موقع تكون فيه هي الأخرى ضحية. كان رد مؤسسة الجائزة على انسحاب هابرماس هادئا ومتوازنا. الرجل حر في أن يستمر في قبوله أو يتراجع. ربحت الجائزة وهو خسرهما. أما بعض المثقفين العرب فإنه لعب دور شاهد زور في حملة ظالمة غلب عليها طابع الزيف والتضليل من أجل تشويه سمعة دولة عربية استثنائية في انتمائها العضوي للعصر الحديث. إذا كان هابرماس قد خسر الجائزة فإن أولئك المثقفين العرب قد خسروا ضمائرهم.

لست هنا بصد الدفاع عن دولة الإمارات العربية المتحدة التي يختلف الكثيرون في النظر إلى أسلوب العيش المترف فيها بالرغم من أنهم لا يخفون إعجابهم بشخصية مؤسسها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. وفي الحالتين هناك شيء يوحي بوقوع معجزة ما. في الأولى تكمن المعجزة في المواجهة المدهشة بين الرخاء والتواضع. بين البنايات العملاقة والمساحات الخضراء. بين أحدث التقنيات وبساطة العيش. لم يفسد جانب الجانب الآخر وكلاهما يشير إلى الآخر باعتباره مرآة لإرادة الإنسان ونزوعه إلى أن يضيف على حياته نوعا من مديح الجمال. أما في الثانية فتكمن معجزة الرجل الغد والاستثنائي والنزيه الذي قرّر أن يبني دولة حديثة ينتصر شعبها على قسوة الطبيعة وقبحها وعنفها وبياسها ويخلصها. لقد حقق الشيخ زايد واحدة من أعظم معجزات الإنسان في العصر الحديث. لا على مستوى الانتصار على قبح الطبيعة فحسب بل وأيضا على الشر الذي يقيم داخل الإنسان. ولا أقصد هنا أن الإماراتيين أو من عاشهم أناس طبيون بالفطرة بقدر ما أقصد أن هناك نظام حياة يقوم على الانحياز إلى الخير في مواجهة الشر هو ما أسس له الشيخ زايد ووضعه في خدمة شعبه.

لم يكن ذلك النظام فوقيا ولا قمعيا ولا مغرورا ولا متغطرسا وإلا لما امتزج بعاطفة الإماراتيين وانتشر مثل عدوى في عقول ضيوفهم. تلك الملايين البشرية التي تمتعت بخير الإمارات ورفاهيتها ورخائها وعاطفتها وسلامها عبر الخمسين سنة الماضية وهي عمر هذه الدولة التي استخرجها الشيخ زايد من روعه.

لذلك فإن جائزة تقترن باسم ذلك العبقري لا بد أن يكون من يحصل عليها ذا يد بيضاء في خدمة البشرية. فالشيخ زايد هو العنوان الأخر للخير.

مناسبة هذا القول ما دار ويدور من جدل حول فوز الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس بجائزة الشيخ زايد "شخصية عام 2021 الثقافية" وانسحابه منها بعد أن أبدى موافقته على تسلمها. ولقد وجد البعض في ذلك مناسبة للنيل من الإمارات انطلاقا من جملة عبارة وردت في تفسير هابرماس لانسحابه تتعلق بعلاقة الجائزة بالنظام السياسي.

ولأن النفس أمارة بالسوء فقد ارتكب المبتهجون عن حمق وبلاهة بذلك الحدث أخطاء كثيرة حين وضعوا صغائر الأمور محل كبرائرها وصاروا يتحدثون عن الإمارات كما لو أنها تقع في كوكب آخر وهم وحدهم من يعرف ما حدث ويحدث فيها وليست تلك الدولة التي مرت

# في مخاطبة أردوغان للشعب المصري وليس نظامه خفايا سياسية

## التأخر في الاعتراف بثورة 30 يونيو يضاعف الشكوك في النوايا التركية



القاهرة حذرة من الازدواجية في مواقف أردوغان

تعتبر مخاطبة الشعب المصري عن رهان النظام التركي لإحداث تغيير من الداخل، فلدى عديد من المسؤولين قناعة بأن الروابط التاريخية معه لا تزال إيجابية، بما يمكن الأجهزة الرسمية، ممثلة في الأدوات الإنسانية والتعليمية والدينية المختلفة، من اختراق المجتمع المصري، وهو ما يمثل عامل ضغط على النظام الحاكم في المستقبل.

تشير هذه النوعية من الحسابات إلى خلل مزوج في الفهم لما يجري في مصر، فالعلاقات التاريخية ليست ودية تماما كما يتم تقديمها في الخطابات الداعية، إذ بها من المرات ما يكفي لتعكيرها عندما يتم استدعاء وقائع متعددة، وكشفت السنوات الماضية اختراق المجتمع المصري، وهو ما يمثل دولة صديقة تمثل في رعاية ودعم الإخوان والتغطيات المطرقة في المنطقه وتهديد الأمن القومي المصري من جهات متباينة، وبالتالي لن تعيد العودة الناعمة العجلة إلى الوراء.

أضف إلى ذلك أن الرئيس التركي يغمز بظرف خفي عند توجيهه حديثه للشعب إلى استمرار تمسكه بفكرة "الخلافة العثمانية" البائدة، والتي جنت من الولايات على مصر أكثر مما حققت من مكاسب، بما يفقد الفكرة الأهداف التي يريد أردوغان تحقيقها من خلال التسلسل إلى الوجود العام، وقد أغرته نتائج الدراما التركية على الشعب المصري بقصة التغيير من الداخل، عقب تيقنه من صعوبة التغيير من الخارج.

يعد النظام المصري المضامين التي يحملها الخطاب المزيج، ولم يبد انزعاجا منه في أي وقت، لأن مسألة الاعتراف به والشريعة الدولية لا تتسلفه، وتجاوزها عندما نجح في تطبيع العلاقات مع غالبية دول العالم. ولئن تضيف شهادة تركيا شيئا للرئيس المصري، وربما تضيف للنظام التركي الكثير، فهي تعني أن هناك تغيرا حقيقيا في توجهات أنقرة الإقليمية، ويحمل تطوير العلاقة مع القاهرة جملة من الإشارات للبدل التي تراقب تصرفات أنقرة الجديدة في المنطقة.

يميل أردوغان إلى التغيير التدريجي في سياساته للحفاظ على توازنات عدة، ويتخذ من نافذة الشعب وسيلة للإقدام على الخطوة الكبرى، وهي الاعتراف صراحة بالثورة الشعبية، والنظام المصري، على أساس أن هذا الشعب حر في خياراته السياسية، ما يتسق مع غرامه بعقد صفقات متنوعة بطريقة تحفظ له الحد الأدنى من ماء الوجه، ويمكنه هذا التوجه من استقطاب فئات شعبية تتعوض عن أذرع الإخوان المستهلكة.

تتبنى توجهات سياسية سلمية فهي لا تقوم بذلك دعما للقيم الديمقراطية، لكن نكايه في الدولة الأخرى. تتمسك الجماعة بما تسميه "مشروعية الانتخابات" التي حصلت عليها، وتتأسس أن إزاحتها من الحكم في مصر تمت بشورة شعبية عارمة أعقبها انتخابات بعد نحو عام حصل فيها الرئيس السيسي على نسبة عالية من الأصوات، ولا تريد الاعتراف بنتائجها خوفا من نسف مشروعها الذي حظي برعاية تركية كبيرة.

أعلن الرئيس أردوغان في عداوته للنظام المصري وصعد إلى أعلى الشجرة في توجيه الانتقادات السافرة إليه والمزايدة على فكرة الثورة، ويعلم أن النزول منها فجة قد يهوي بها تبقى من مصداقيته التي فقدت جزءا كبيرا منها بمجرد عرضه الحوار على القيادة المصرية منذ أشهر والاستجابة الظاهرة لكثير من شروطها، وتحول التصريحات التي ادلى بها معاونوه من الشجب إلى الغزل في الدولة المصرية.



**أردوغان يتخذ من نافذة الشعب وسيلة للإقدام على الخطوة الكبرى وهي الاعتراف صراحة بالثورة الشعبية، ويمكنه هذا التوجه من استقطاب فئات شعبية تعوضه عن أذرع الإخوان المستهلكة**

أعلنت مصر وتركيا في بيان مشترك في ختام لقاءات استمرت يومين في القاهرة بهدف إعادة الحياة إلى العلاقات بين الجانبين أن المباحثات كانت "صريحة ومعقدة"، فيما شدد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان على "الروابط التاريخية بين الشعبين"، متجاهلا الحديث عن النظام المصري، في خطوة تعكس تردده في الاعتراف بثورة 30 يونيو وهو ما يثير الشكوك حول النوايا والتحركات التركية المقبلة التي قد تعصف بمؤشرات التقارب، فيما يلفت متابعون إلى أن الاعتراف التركي بالثورة الشعبية التي أطاحت بنظام الإخوان سيكون من نافذة الشعب لاستقطابه تعويضا عن أذرع الإخوان المستهلكة.

يضع الكثير من العقب على الجولات التالية من المفاوضات، ويوحى بأن أنقرة تريد نمنا لذلك، فمن يتمثل في تخفيف الشروط الخاصة بتسليم قيادات إخوانية، حيث يعني الاعتراف والتسليم معا أن تركيا على استعداد لتقديم كل التنازلات لمصر، ما يعرضها لمزيد من الضغوط في ملفات أخرى.

كما أنها تفتح بابا للخلافات داخل حزب العدالة والتنمية الحاكم الذي يتشبث بقوامه الإسلامي، ويحاول أردوغان احتواء المزيد من الصدامات في هذه القضية بتسويق تحولاته بانها تجاه الشعب وليس النظام المصري، أملا في أن تخفف من وطأة المراتب لدى التيار الذي يرفض التخلي عن الإخوان.

تتحاليل أردوغان على الشعب النظام المصري بالحديث إلى الشعب كى يبدو أنه لم يتخل عن ثوابته السياسية، ولا يزال يقف في صف الجماعة، وهي طريقة تكفي للتعامل مع أي خطوات تقدم عليها أنقرة حيال القاهرة بحدز شديد الفترة المقبلة، بما ينعكس سلبا على أي تعهدات تتبناها الأولى في القضايا الخلافية الثنائية والإقليمية.

وتؤكد هذه الطريقة أن تركيا متمسكة باحتضان الإخوان، وسوف تستمر ورقة في يدها إلى أبعد مدى بما يسير في اتجاه مغاير للمطالب المصرية التي تراها إرهابية والتخلي عنها من علامات الثقة في أنقرة، ففكرة الإنكار إخوانية أصلا، ويؤدي نواياها التي يتمسك بعدم الاعتراف بالنظام المصري الحالي، لأن ذلك ينسف حججه التي ساقها طوال السنوات الماضية.

مهدت أنقرة لذلك بالإشارة أكثر من مرة إلى أن الإخوان جماعة سياسية مصرية معارضة تلزم بالقوانين التركية، وهو اتجاه يعزز أيضا بانها في عدا مع النظام الحاكم بمصر، فاي دولة تقدم دعما لقرى معارضة حتى لو كانت



محمد أبو الفضل  
كاتب مصري

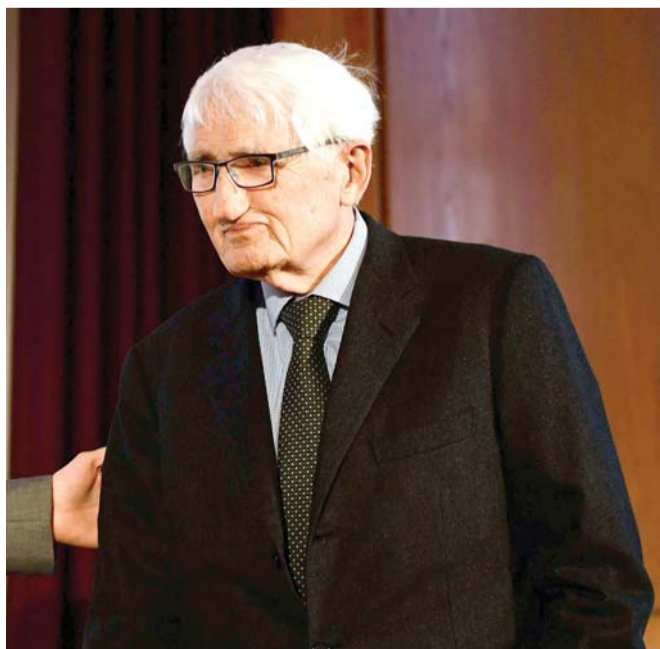
درج الرئيس التركي رجب طيب أردوغان عند الحديث عن مصر أن يوجه خطابه إلى شعبيها مباشرة، ويعتمد تجاهل نظامها الحاكم، وعقب لقاء استمر يومين في القاهرة بين وفدين للبلدين من المفترض أن يمهد لتطبيع العلاقات الرسمية بينهما، كثر الرجل خطابه للشعب المصري وتحدث عن الوشائج والجذور التاريخية المشتركة. وحرص على التمييز بين السلطات الحاكمة والشعب في كلمة له الجمعة معتبرا الشعبين المصري والتركي حافظا على قرينهما، قائلا "لطالما كان نهجنا تجاه الشعب المصري إيجابيا للغاية، وتجمع بين الشعبين روابط تاريخية، ونسعى لاستعادتهما".

**التأخر في الاعتراف بثورة 30 يونيو أحد النوايا السيئة التي تكفي للعصف بمؤشرات التقارب بين أنقرة والقاهرة**

ويعلم المراقبون أن هذه الطريقة تحمل الكثير من الرسائل السياسية المتناقضة، ففي الوقت الذي أجرت وفود تركية حوارات مع مسؤولين يمثلون النظام المصري خلت خطابات أردوغان من الإشارة إلى رأسه صراحة، وهذه واحدة من "شيزوفرينيا" سياسية بالغة، حيث تصور أن الإشارة إلى الرئيس عبدالفتاح السيسي أو نظامه ستمنحه صك اعتراف تركي لن يقدم شيئا له، لكن قد يؤخر تحسين العلاقات.

ينطوي التدقيق في المعنى الذي يريده أردوغان على أنه لا يزال يتمسك بموقفه السابق الذي يعتبر أن السيسي قام بـ"انقلاب" على الرئيس الإخواني الراحل محمد مرسي، ويحصل إنكارا للثورة الشعبية التي أزاحت مرسي وحكمه في 3 يوليو 2013، وهذه واحدة من النوايا السيئة التي تكفي للعصف بمؤشرات التقارب الراهنة بين أنقرة والقاهرة، وتضاعف من الشكوك في التحركات التركية المقبلة.

وطالب الوفد المصري الذي التقى نظيره التركي بالقاهرة يومي الأربعاء والخميس باعتراف صريح بثورة 30 يونيو وبدون التناقضات عليها، وتلقى وعدا بذلك، غير أن التأخير



هابرماس ينساق وراء حقد غربي مبيت إزاء التجربة النهضوية للإمارات